وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .

قال العوفي : عن ابن عباس قوله تعالى : { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس } يقول : لا يقضون فيه وطرا يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : مثابة للناس يقول يثوبون رواهما ابن جرير وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا عبد ا بن رجاء أخبرنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس } قال : يثوبون إليه ثم يرجعون قال وروي عن أبي العالية وسعيد بن جبير في رواية وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع ابن أنس والضحاك نحو ذلك وقال ابن جرير : حدثني عبد الكريم ابن أبي عمير حدثني الوليد بن مسلم قال : قال أبو عمرو يعني الأوزاعي حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله تعالى : { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس } قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا وحدثني يونس عن ابن وهب قال : قال ابن زيد { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس } قال يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنى أورده القرطبي : .

(جعل البيت مثابا لهم ... ليس منه الدهر يقضون الوطر) .

وقال سعيد ابن جبير في الرواية الأخرى وعكرمة وقتادة وعطاء الخراساني { مثابة للناس } أي مجمعا { وأمنا } قال الضحاك عن ابن عباس : أي أمنا للناس وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا } يقول وأمنا من العدو وأن يجعل فيه السلاح وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لايسبون وروي عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن أنس قالوا : من دخله كان آمنا .

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الاية أن ا تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس أي جعله محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من ا تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إلى أن قال : { ربنا وتقبل دعاء } ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا من دخله أمن ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة في قوله تعالى : { جعل ا الكعبة البيت الحرام قياما للناس } أي يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق ا السماء على الأرض وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى : { وإذ بوأنا

لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا } وقال تعالى : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا } وفي هذه الاية الكريمةن نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده فقال { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو فقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عمرو بن شيبة النميري حدثنا أبو خلف يعني عبد ا بن عيسى أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن ابن عباس { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } قال : مقام إبراهيم الحرم كله وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام إبراهيم الذي ذكر ههنا فمقام إبراهيم هذا الذي في المسجد ثم قال : ومقام إبراهيم يعد كثير مقام إبراهيم الحج كله ثم فسره لي عطاء فقال : التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر ومنى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة فقلت أفسره ابن عباس ؟ قال لا ولكن قال مقام إبراهيم الحج كله قلت : أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قال : نعم سمعته منه وقال سفيان الثوري عن عبد ا بن مسلم عن سعيد بن جبير { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } قال : الحجر مقام إبرهيم نبي ا قد جعله ا رحمة فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجار ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه وقال السدي : المقام الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى ا عليه وسلّم قال : لما طاف النبي صلى ا عليه وسلّم قال له عمر : هذا مقام أبينا ؟ قال : نعم قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل ا D { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقال عثمان ابن أبي شيبة : أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال : قال عمر : قلت : يا رسول ا هذا مقام خليل ربنا ؟ قال : نعم قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقال ابن مردويه : أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المرزبان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام إبراهيم فقال : يا رسول ا أليس نقوم بمقام خليل ربنا ؟ قال : بلى قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقال ابن مردويه : أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام ابن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول ا صلى ا عليه وسلّم يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر : يا رسول ا هذا مقام

إبراهيم الذي قال ا { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } قال : نعم قال الوليد : قلت لمالك : هكذا حدثك واتخذوا ؟ قال : نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد ابن مسلم نحوه وقال البخاري : باب قوله { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } مثابة يثوبون يرجعون حدثنا مسدد أخبرنا يحي عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت : يا رسول ا لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقلت : يا رسول ا يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل ا آية الحجاب قال : وبلغني معاتبة النبي صلى ا عليه وسلّم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت : إن انتهيتن أو ليبدلن ا رسوله خيرا منكن حتى أتت إحدى نسائه قالت : ياعمر أما في رسول ا ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل ا { عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات } الاية وقال ابن أبي مريم : أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال : سمعت أنسا عن عمر Bهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد عنه بالرواية البخاري من بين أصحاب الكتب الستة وروى عنه الباقون بواسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال إسناد الحديث وإنما لم يسنده لأن أبي أيوب الغافقي فيه شيء كما قال الإمام أحمد فيه هو سيء الحفظ وا أعلم وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر Bه : وافقت ربي D في ثلاث قلت : يا رسول ا لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقلت : يا رسول ا إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول ا صلى ا عليه وسلّم نساؤه في الغيرة فقلت لهن : { عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن } فنزلت كذلك ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث فذكره وقد رواه البخاري عن عمر وابن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد بن الصباح كلهم عن هشيم بن بشير به ورواه الترمذي أيضا عن عبد بن حميد عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة والنسائي عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة كلاهما عن حميد وهو ابن تيرويه الطويل به وقال الترمذي : حسن صحيح ورواه الإمام علي بن المديني عن زيد بن زريع عن حميد به وقال : هذا من صحيح الحديث وهو بصري ورواه الإمام مسلم بن حجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر فقال : أخبرنا عقبة بن مكرم أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم وقال أبو حاتم الرازي : أخبرنا محمد بن عبد ا الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : وافقني ربي في ثلاث أو

وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول ا لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقلت : يا رسول ا لو حجبت النساء فنزلت آية الحجاب والثالثة : لما مات عبد ا بن أبي جاء رسول ا صلى ا عليه وسلّم ليصلي عليه قلت : يا رسول ا تصلي على هذا الكافر المنافق ؟ فقال : إيها عنك يا ابن الخطاب فنزلت { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره } وهذا إسناد صحيح أيضا ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد إذا عارضه منطوق قدم عليه وا أعلم وقال ابن جريج : أخبرني جعفر عن محمد عن أبيه عن جابر : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعا حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقال ابن جرير : حدثنا يوسف بن سلمان أخبرنا حاتم بن إسماعيل أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول ا صلى ا عليه وسلّم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : قدم رسول ا صلى ا عليه وسلّم فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم بناء جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية : .

(وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل) .

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد ا بن وهب : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب : أن أنس ابن مالك حدثهم قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم وقال ابن جرير : بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه وقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى (قلت) وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى

جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا وا أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب Bه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول ا صلى ا عليه وسلّم [اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر] وهو الذي نزل القرآن بوفاته في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من أصحابه Bهم أجمعين قال عبد الرزاق عن ابن جريج : حدثني عطاء وغيره من أصحابنا قال : أول ما نقله عمر بن الخطاب Bه وقال عبد الرزاق أيضا عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال : أول من أخر المقام إلى موضعه الان عمر بن الخطاب Bه وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضيل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة Bها : أن المقام كان زمان رسول ا صلى ا عليه وسلّم وزمان أبي بكر Bه ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب عمر أبي ابن أخبرنا أبي أخبرنا : حاتم أبي ابن وقال تقدم ما مع صحيح إسناد وهذا Bه العدني قال : قال سفيان يعني ابن عيينة وهو إمام المكيين في زمانه : كان المقام من سقع البيت على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلّم فحوله عمر إلى مكانه بعد النبي صلى ا عليه وسلّم وبعد قوله { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } قال : ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا فرده عمر إليه وقال سفيان : لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله وقال سفيان لا أدري أكان لاصقا بها أم لا ؟ فهذه الاثار متعاضدة على ما ذكرناه وا أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : أخبرنا ابن عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي إياس في تفسيره أخبرنا شريك عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول ا لو صلينا خلف المقام فأنزل ا { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } فكان المقام عند البيت فحوله رسول ا صلى ا عليه وسلّم على موضعه هذا قال مجاهد : وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد : أن أول من أخر المقام إلى موضعه الان عمر بن الخطاب Bه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم وا أعلم .

وعهدنآ إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .

قال الحسن البصري : قوله { وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل } قال : أمرهما ا أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء وقال ابن جريج : قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم { وعهدنا إلى إبراهيم } أي أمرناه كذا قال : والظاهر

أن هذا الحرف إنما عدي بإلى لأنه في معنى تقدمنا وأوحينا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله { أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين } قال : من الأوثان وقال مجاهد وسعيد بن جبير { طهرا بيتي للطائفين } أن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس قال ابن أبي حاتم وروي عن عبيد بن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وقتادة { أن طهرا بيتي } أي بلا إله إلا ا من الشرك وأما قوله تعالى : { للطائفين } فالطواف بالبيت معروف وعن سعيد بن جبير أنه قال في قوله تعالى { للطائفين } يعني من أتاه من غرابة { والعاكفين } المقيمين فيه وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس أنهما فسرا العاكفين بأهله المقيمين فيه كما قال سعيد بن جبير وقال يحيى القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله { والعاكفين } قال : من انتابه من الأمصار فأقام عنده وقال لنا ونحن مجاورون أنتم من العاكفين وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال : إذا كان جالسا فهو من العاكفين وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت قال : قلنا لعبد ا بن عبيد بن عمير : ما أراني إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام فإنهم يجنبون ويحدثون قال : لا تفعل فإن ابن عمر سئل عنهم فقال : هم العاكفون ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول A وهو عزب وأما قوله تعالى : { والركع السجود } فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس : والركع السجود قال : إذا كان مصليا فهو من الركع السجود وكذا قال عطاء وقتادة قال ابن جرير C : فمعنى الاية وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين والتطهير الذي أمرنا به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك ثم أورد سؤالا فقال : فإن قيل : فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين : (أحدهما) أنه أمرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما إذ كان ا تعالى قد جعل إبراهيم إماما يقتدى به كما قال عبد الرحمن بن زيد { أن طهرا بيتي } قال : من الأصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها (قلت) وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد A (الجواب الثاني) أنه أمرهما أن يخلصا في بنائه وحده لا شريك له فيبنياه مطهرا من الشرك والريب كما قال جل ثناؤه : { أفمن أسس بنيانه على تقوى من ا ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار } قال : فكذلك قوله : { وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي } أي ابنياه على طهر من الشرك بي والريب كما قال السدي { أن طهرا بيتي } ابنيا بيتي للطائفين وملخص هذا الجواب أن ا تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك

له للطائفين به والعاكفين عنده والمصلين إليه من الركع السجود كما قال تعالى : { وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود } الايات .

وقد اختلف الفقهاء أيهما أفضل الصلاة عند البيت أو الطواف به ؟ فقال مالك C الطواف به لأهل الأمصار أفضل وقال الجمهور : الصلاة أفضل مطلقا وتوجيه كل منهما يذكر في كتاب الأحكام والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون با عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه كما قال تعالى : { إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل ا والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم } ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد ا وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة : قيامها وركوعها وسجودها ولم يذكر العاكفين لأنه تقدم { سواء العاكف فيه والباد } وفي هذه الاية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام وفي ذلك أيضا رد على من لا يحجه من أهل الكتابين اليهود والنصارى لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة عنده وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفعلون ما شرع ا له ؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى { إن هو إلا وحي يوحى } .

وتقدير الكلام إذا { وعهدنا إلى إبراهيم } أي تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل { أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود } أي طهراه من الشرك والريب وابنياه خالصا معقلا للطائفين والعاكفين والركع السجود وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الاية الكريمة ومن قوله تعالى : { في بيوت أذن ا أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال } ومن السنة من أحاديث كثيرة من الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من صيانتها من الأذى والنجاسات وما أشبه ذلك ولهذا قال عليه السلام [إنما بنيت المساجد لما بنيت له] وقد جمعت في ذلك جزءا على حدة و الحمد والمنة وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة فقيل : الملائكة قبل آدم روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين ذكره القرطبي وحكى لفظه وفيه غربة وقيل : آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم : أن آدم بناه من خمسة أجبل : من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي وهذا غريب أيضا وروي عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة وعن وهب بن منبه : أن أول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذه إنما يأخذه من كتب أهل

الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين